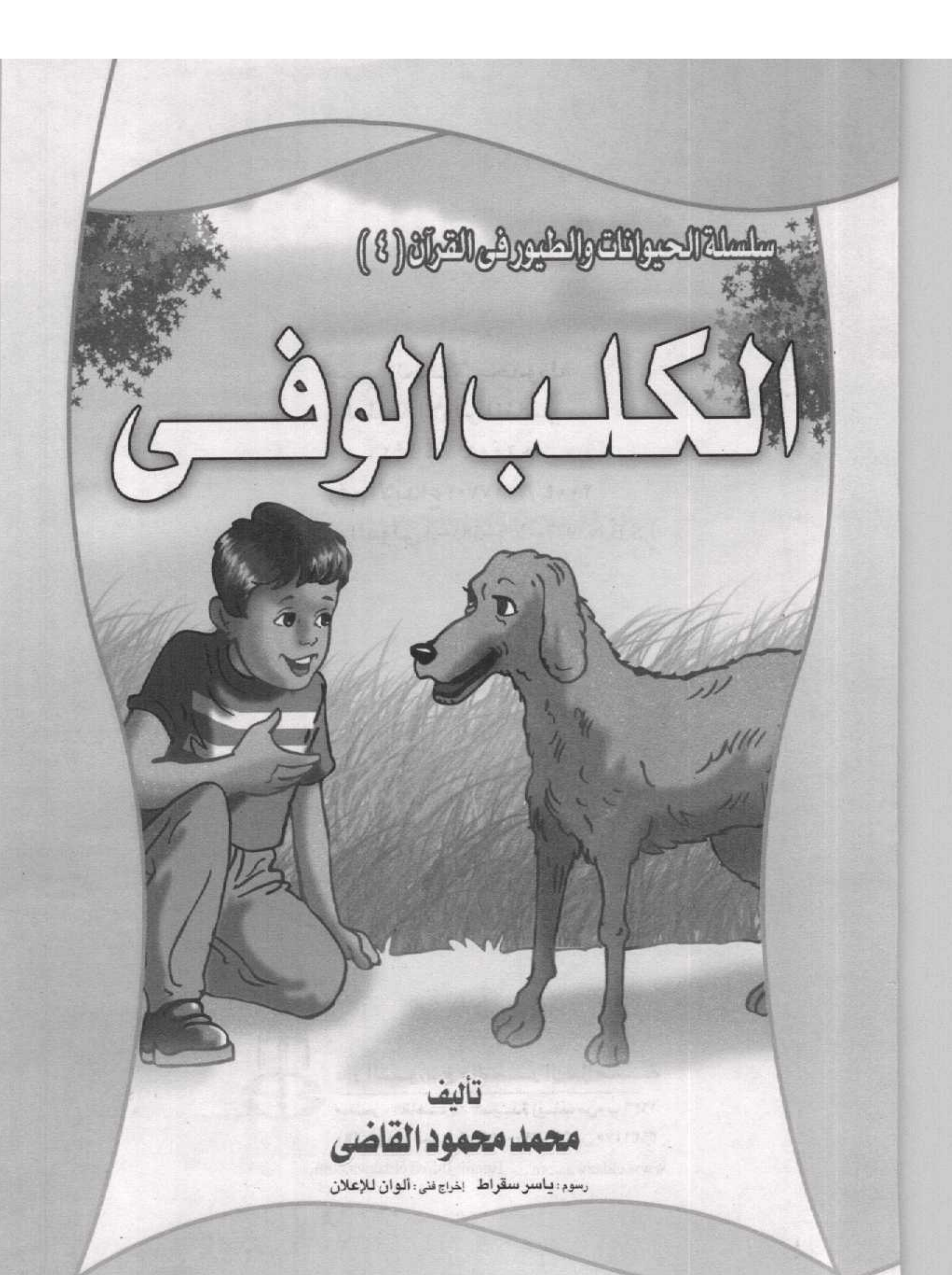


الكلب الوفى

تأليف
محمد محمود القاضى
رسوم : ياسر سقراط إخراج فنى : ألوان للإعلان

الطبعة الأولى للناشر
١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥ م
رقم الإيداع : ٢١٧٧٠ / ٢٠٠٤
الترقيم الدولى I.S.B.N. 977-265-585-3



دار التوزيع والنشر الإسلامية
مصر - القاهرة - السيدة زينب ص- ب ١٦٣٦
٢٥١ ش بور سعيد ت: ٣٩٠٠٥٧٢- فاكس ٣٩٣١٤٧٥
www.eldaawa.com Email: info@eldaawa.com

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَبًا (٩)
إِذْ أَوَى الْفِتْيَةُ إِلَى الْكَهْفِ فَقَالُوا رَبَّنَا آتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا
مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا (١٠) فَضَرَبْنَا عَلَىٰ آذَانِهِمْ فِي الْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا
(١١) ثُمَّ بَعَثْنَاهُمْ لِنَعْلَمَ أَيُّ الْحِزْبَيْنِ أَحْصَىٰ لِمَا لَبِثُوا أَمَدًا (١٢) نَحْنُ
نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِالْحَقِّ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى
(١٣) وَرَبَطْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا فَقَالُوا رَبُّنَا رَبُّ السَّمَاوَاتِ
وَالْأَرْضِ لَن نَّدْعُوَ مِن دُونِهِ إِلَٰهًا لَّقَدْ قُلْنَا إِذًا شَطَطًا (١٤) هَٰؤُلَاءِ
قَوْمُنَا اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ آلِهَةً لَّوْلَا يَأْتُونَ عَلَيْهِم بِسُلْطَانٍ بَيِّنٍ فَمَنْ
أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا (١٥) وَإِذِ اعْتَزَلْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ
إِلَّا اللَّهَ فَأْوُوا إِلَى الْكَهْفِ يَنشُرْ لَكُمْ رَبُّكُم مِّن رَّحْمَتِهِ وَيُهَيِّئْ لَكُم
مِّنْ أَمْرِكُم مِّرْفَقًا (١٦) وَتَرَى الشَّمْسَ إِذَا طَلَعَت تَّزَاوَرُ عَن كَهْفِهِمْ
ذَاتَ الْيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَت تَّقْرِضُهُمْ ذَاتَ الشِّمَالِ وَهُمْ فِي فَجْوَةٍ مِّنْهُ
ذَٰلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ مَن يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُ
وَلِيًّا مُّرْشِدًا (١٧) وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظًا وَهُمْ رُقُودٌ وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ الْيَمِينِ
وَذَاتَ الشِّمَالِ وَكَلْبُهُم بَاسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِالْوَصِيدِ لَوِ اطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ
لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا وَلَمُلِئْتَ مِنْهُمْ رُعْبًا﴾

«سورة الكهف ٩-١٨»

طلب أحمد من صديقه أسامة أن يرافقه فى اليوم التالى إلى مزرعة الأسرة.. والاستمتاع بقضاء وقت جميل هناك.. فسعد أسامة بهذه الدعوة.. وشكر أحمد عليها..

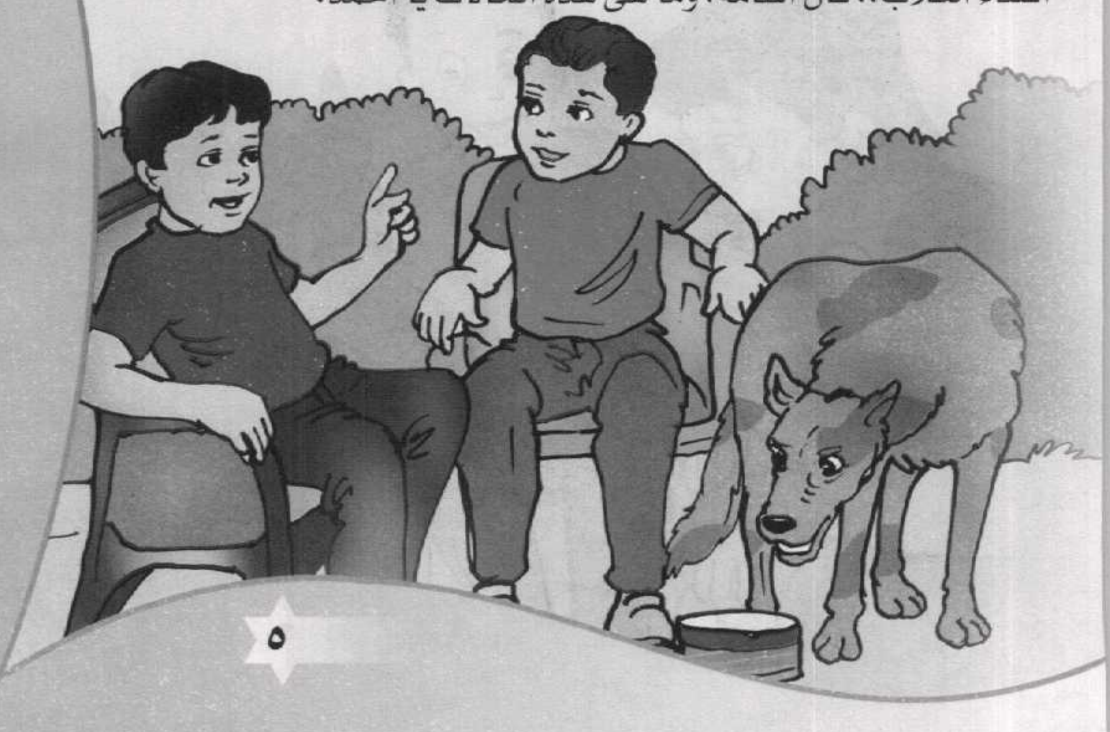
وفى صباح اليوم التالى سافر الصديقان إلى المزرعة.. وهناك على مدخل المزرعة رأى أسامة كلبًا كبيرًا.. ففزع أسامة من منظر الكلب.. فضحك أحمد وقال: لا تخف يا أسامة.. فهذا كلبنا.. وقد اشتراه والدى من فتـرة لحراسـة المزرعة.. واقترب الصديقان من الكلب.. وظهرت علامات الفرح والسرور على الكلب عندما رأى أحمد.. وأخذ يحرك ذيله.. فقال أسامة: يبدو أن الكلب يحبك يا أحمد.. ضحك أحمد وقال: لا شك فى ذلك يا أسامـة.. فأنا اعتـدت أن آتـى إليـه ببعض الأطعمـة الخاصة كلما قدمت إلى المزرعة.. وهو يريد منى أن أقدمها له..



قال أسامة: وهل أحضرت له أطعمة هذه المرة.. قال أحمد: نعم يا أسامة .. وسوف أقدمها له بعد أن أفتح حقيبة السفر.. ونستريح قليلاً..

وفى وقت العصر.. خرج أحمد وصديقه أسامة من الاستراحة الموجودة بالمزرعة وجلسا تحت شجرة كبيرة أمام الاستراحة.. فاقترب الكلب منهما.. وهو يحرك ذيله.. ففتح أحمد علبة فى يده ووضعها أمام الكلب.. فأقبل عليها الكلب يلتهمها بشراهة..

فنظر أسامة إلى أحمد وقال: لقد قرأت يا أحمد أن الإسلام يحرم اقتناء الكلاب.. وأنا أعرف أنكم حريصون على الالتزام بأوامر الدين ونواهيه.. قال أحمد: كلامك صحيح يا أسامة..ولكن هناك حالات أجاز فيها الرسول ﷺ اقتناء الكلاب.. قال أسامة: وما هى هذه الحالات يا أحمد؟



قال أحمد: الاستخدام فى الصيد وأعمال الحراسة عمومًا.. ولقد اشترى أبى هذا الكلب لحراسة المزرعة كما ذكرت لك..

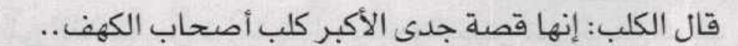
قال أسامة: وهل تعرف شيئًا يا أحمد عن حياة الكلاب وصفاتها..

قال أحمد: لقد قرأت يا أسامة الكثير عن الكلاب.. وأفضل ما أعجبنى فى الكلاب هو وفاؤها النادر لأصحابها..ويحكى فى هذا الأمر قصص عجيبة سوف أذكر لك شيئًا منها فى الأيام القادمة..

وفى هذا الوقت.. كان الكلب يجلس قريبًا من أحمد وأسامة وكأنه يستمع إلى حديثهما.. فقام الكلب من مكانه وقال: ولكننى عندى قصة فى حياة الكلاب هى أعجب مما قرأته كله يا أحمد..

ضحك أحمد وقال: ظننتك نمت بعد تناول الوجبة الدسمة يا كلبى العزيز.. فما هى هذه القصة إذن؟





قال الكلب: إنها قصة جدى الأكبر كلب أصحاب الكهف..

قال أسامة: يبدو أنها قصة مثيرة حقًا.. من فضلك احْكِ هذه القصة أيها الكلب.. فأنا أستمتع بسماع الحكايات..

قال الكلب: منذ زمن بعيد.. وفى فترة قريبة من زمن نبى الله عيسى عليه السلام .. بدأت المسيحية تنتشر.. حتى وصلت أخبار عنها إلى مدينة من المدن القريبة من أرض فلسطين مهد المسيح عليه السلام.. فاعتنق مجموعة من الفتية من أهل هذه المدينة المسيحية.. وآمنوا بالله رب العالمين.. ولكن هؤلاء الفتية خافوا أن يجهروا بدعوتهم بين الناس..

قال أسامة: وما السبب فى خوفهم من إظهار دينهم؟

قال الكلب: لقد كان هناك الكثيرون الذين يعارضون هذا الدين الجديد.. وخاصة ملك تلك المدينة التى كان منها هؤلاء الفتية..



ولذلك خاف الفتية على أنفسهم من تعرضهم للإيذاء والبطش من جانب الملك ومن جانب المعارضين لهذا الدين الجديد.. وخاصة أن أمر إيمانهم بدأ يشيع فى المدينة.. ولذلك قرروا الابتعاد عن المدينة والهجرة إلى مكان آخر.. فأرض الله واسعة..

قال أحمد: وهل حدد الفتية مكانًا معينًا يهاجرون إليه؟

قال الكلب: لا.. ولكنهم عزموا على الهجرة.. وجهزوا أنفسهم لهذا الأمر.. واجتمعوا فى مكان ما لبدء رحلتهم..

قال أسامة: وكم كان عددهم؟

قال الكلب: معرفة عدد أصحاب الكهف لا فائدة من ورائها.. وعلى أية حال العدد الأقرب إلى الصواب هو ستة.. وبينما هم فى طريقهم خارج حدود المدينة.. مروا براعى غنم.. فتحدثوا إليه.. فأنس بهم وأنسوا به..



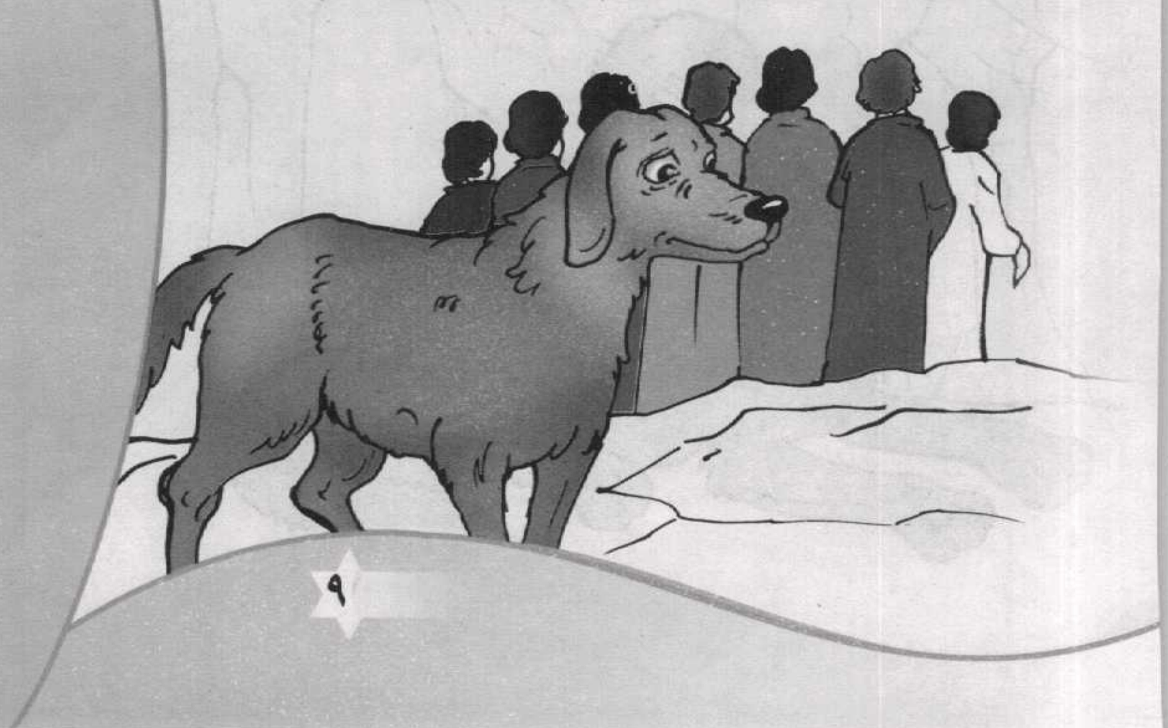
وعلموا أنه آمن بالله مثلهم.. وهو يعيش خارج المدينة خوفا على دينه.. فأخبروه هم أيضًا بإيمانهم.. فقرر أن يذهب معهم إلى حيث يذهبون.. وبذلك سار عددهم سبعة.. وكان بصحبة هذا الراعى المؤمن كلبه الذى يحرس له أغنامه.. فتبعهم الكلب ورفض أن يفارقهم..

قال أحمد: يبدو أنه كان كلبًا وفيًا لصاحبه..

قال الكلب: نعم.. ولقد كان الكلب يتبعهم فى سيرهم حينًا.. ويحيط بهم حينًا.. ويسير أمامهم حينًا آخر.. فكان لهم كالحافظ الأمين..

قال أسامة: وماذا فعل الفتية بعد ذلك؟

قال الكلب: أقبل عليهم الليل وهم فى طريقهم.. فتوقفوا عند كهف فى الطريق.. وقرروا أن يستريحوا فيه حتى يأتى عليهم النهار ويكملوا رحلتهم..



ودخل الفتية الكهف.. وجلس الكلب على باب الكهف.. وقد بسط ذراعيه أمامه..

وفتح عينيه وكأنه وحش يحمى أصحابه..

وهنا حدث أمر عجيب وغريب.. فلقد حدثت لهم حالة تشبه الإغماء.. فناموا..

قال أحمد: هذا أمر عجيب حقًا.. إنها حالة لا هى حياة كاملة.. ولا هى موت كامل..!

قال الكلب: إنها قدرة الله الخارقة.. ولقد كانوا يتقلبون وهم على حالتهم هذه بحيث لا تأكل الأرض أجسادهم.. وهيأ الله سبحانه لهم موقعًا عجيبًا فى الكهف بحيث تدخل الشمس عليهم باعتدال، فلا تنالهم بأشعتها، وتقرب منهم بضوئها.. فتحقق لهم النفع ولا تصيبهم بأذى..

قال أحمد: وهل أصاب الكلب ما أصابهم؟



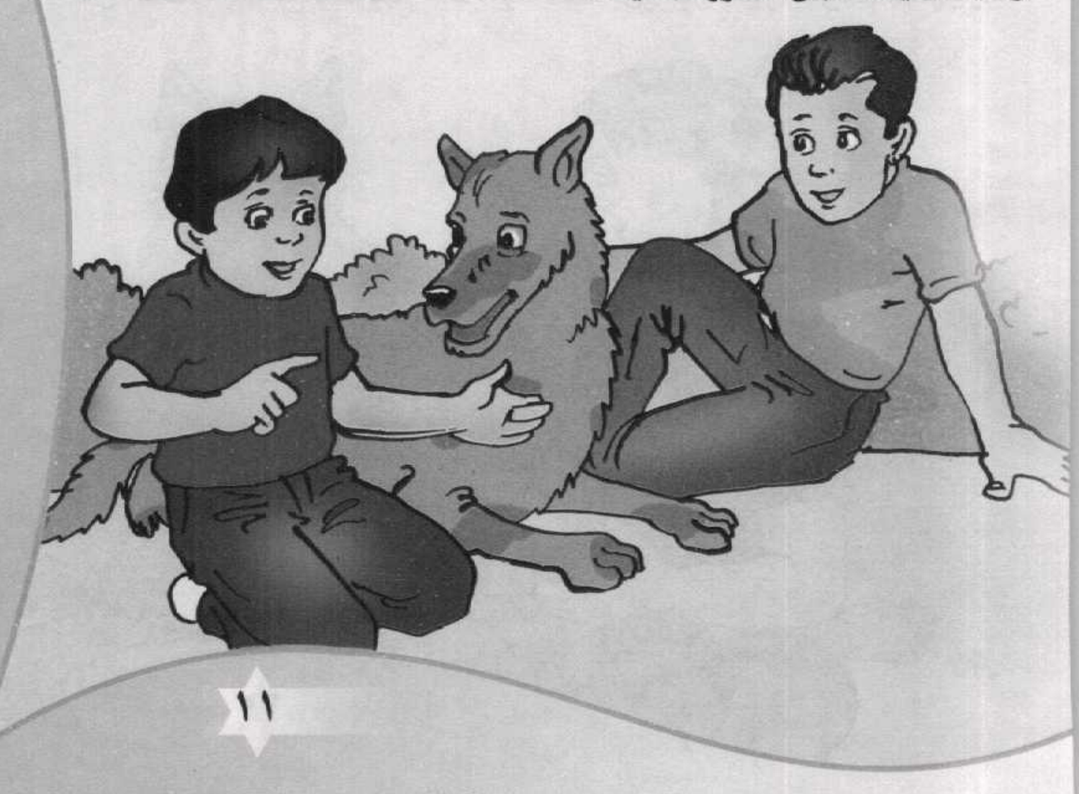
قال الكلب: نعم يا أحمد.. فقد كان على نفس حالتهم.. وكان باسطًا ذراعيه كأنه يحرسهم.. وقد كانوا جميعًا فى هيئتهم هذه يثيرون الرعب فى قلب من يطلع عليهم.. إذ يراهم نيامًا كالأيقاظ.. يتقلبون ولا يستيقظون.. وذلك من تدبير الله كى لا يعبث بهم عابث.. حتى يحين الوقت المعلوم..

قال أسامة: ولكن ماذا حدث بعد ذلك؟

قال الكلب: وفجأة تدب فيهم الحياة.. فيستيقظون من حالتهم هذه.. لا يعرفون كم لبثوا فى الكهف..

قال أسامة: ربما كانوا يشعرون بآثار نوم طويل..

قال الكلب: نعم يا أسامة.. ولقد تساءلوا فيما بينهم عن المدة التى قضوها فى النوم.. ولكنهم تركوا هذه المسألة التى لا طائل من وراء البحث فيها.. ودعوا أمرها لله، وهكذا ينبغى أن يكون شأن المؤمن فى كل ما يعرض له مما يجهله.. وعليه أن يلتفت إلى الأمور العملية..



قال أحمد: وما هو الأمر الذى التفت إليه الفتية بعد استيقاظهم أيها الكلب الفيلسوف؟

قال الكلب: عندما استيقظ الفتية من نومهم أحسوا بالجوع فطلبوا من أحدهم أن يأخذ معه بعض المال ويذهب إلى المدينة لشراء ما يحتاجون إليه من الطعام الطيب.. ونبهوا عليه أن يأخذ حذره جيدًا بحيث لا يعرف حقيقته أحد من أهل المدينة وخاصة رجال الحاكم الظالم..

قال أحمد: ولكن ما هى المدة التى قضاها الفتية فى الكهف وهم على هذه الحالة؟

قال الكلب: بالتوقيت الشمسى ثلاثمائة سنة.. وبالتوقيت القمرى ثلاثمائة سنة وتسع سنوات..

قال أحمد: إنها مدة طويلة حقًا.. ولا شك أن أمورًا كثيرة حولهم قد تغيرت..



قال الكلب: لم يكن الفتية يدركون حقيقة المدة التى قضوها فى الكهف.. ولكن حدث أمر عجيب لصاحبهم الذى ذهب إلى المدينة لشراء الطعام لهم.. فقد رأى أن معالم المدينة قد تغيرت كثيرًا .. وأحوال الناس فيها قد تغيرت .. وأن الدنيا قد تبدلت، فلم يعد لشىء مما ينكره ولا لشىء مما يعرفه وجود.. ويبدو أن الناس فى المدينة أيضا أحسوا بهذه المشاعر نحو هذا القادم الغريب.. وخاصة عندما أراد شراء بعض الأطعمة بالعملة التى كانت معه.. فقد كانت عملة قديمة مضى عليها عدة قرون.. فتجمع الناس عليه .. حاولوا أن يعرفوا منه حقيقته.. ودار بين الفتى ومن حوله من الناس حوارات وكلام.. وانتهت بأن رفعوا أمره إلى حاكم المدينة.. وبدأت تتضح خيوط الحقيقة.. فهذا الفتى لا بد أن يكون أحد الفتية الذين هربوا من هذه المدينة منذ سنوات بعيدة خوفًا على أنفسهم من أن يلحقهم أذى أو بطش من حاكم المدينة الظالم..

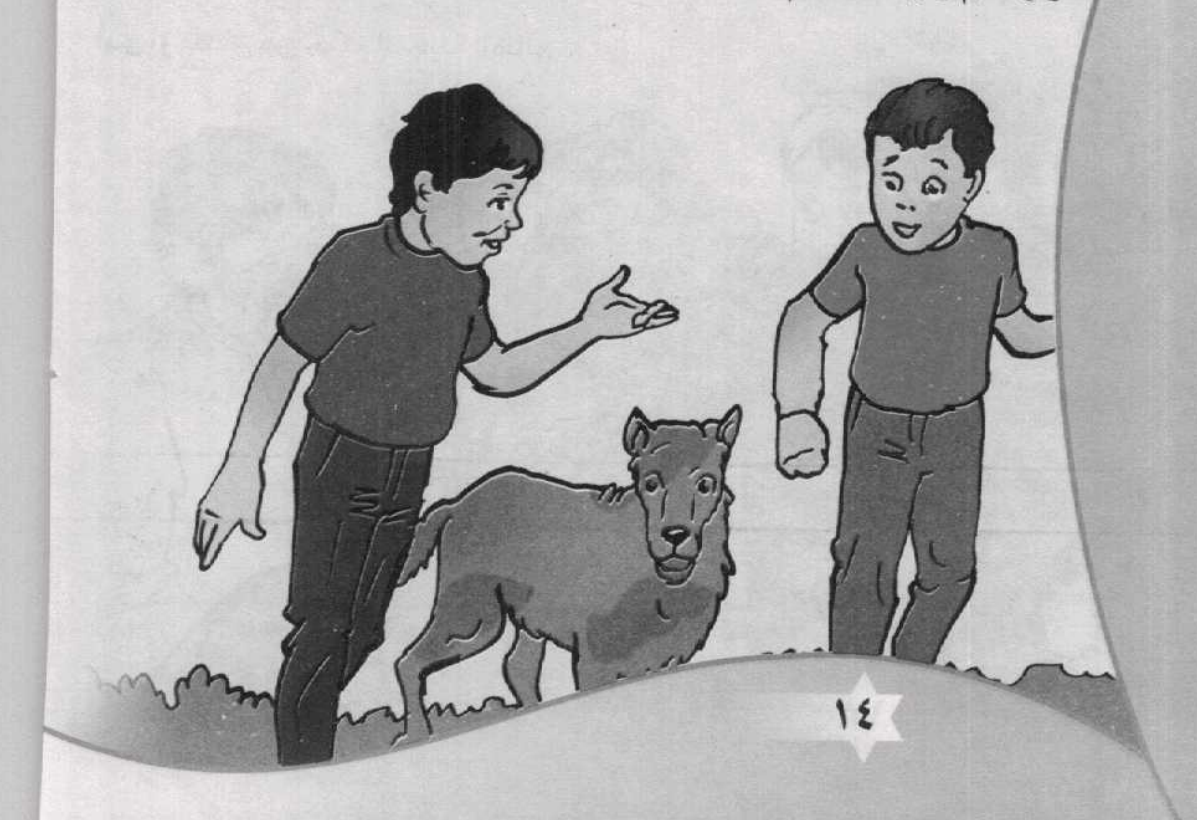


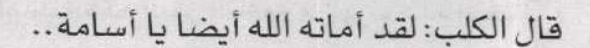
قال أسامة: وهل كان الناس يعرفون شيئًا عن هؤلاء الفتية؟

قال الكلب: نعم يا أسامة .. فلقد كان الناس يتناقلون فيما بينهم جيلاً بعد جيل قصة الفتية الذين هربوا من المدينة حفاظًا على دينهم.. وها هو أمر المدينة قد تغير.. وأصبح أهلها جميعًا بمن فيهم الحاكم مؤمنين بالله.. ولما أدرك الفتى حقيقة موقفه.. وحقيقة المدة التى قضاها هو وزملاؤه فى الكهف فأسرع إليهم .. وحكى لهم عجائب ما رأى وما سمع.. وكان حاكم المدينة ومعه عدد كبير من الناس قد ساروا خلف هذا الفتى ليطلعوا على الأمر بأنفسهم..

قال أحمد: يا لها من مفاجأة كبيرة بالنسبة لهم!!

قال الكلب: إنها مفاجأة كبيرة حقًا.. ولأجل ذلك فقد رحم الله تعالى هؤلاء الفتية وتوفاهم وترك قصتهم لتكون عبرة وعظة. .قال أسامة: وماذا حدث لكلبهم؟





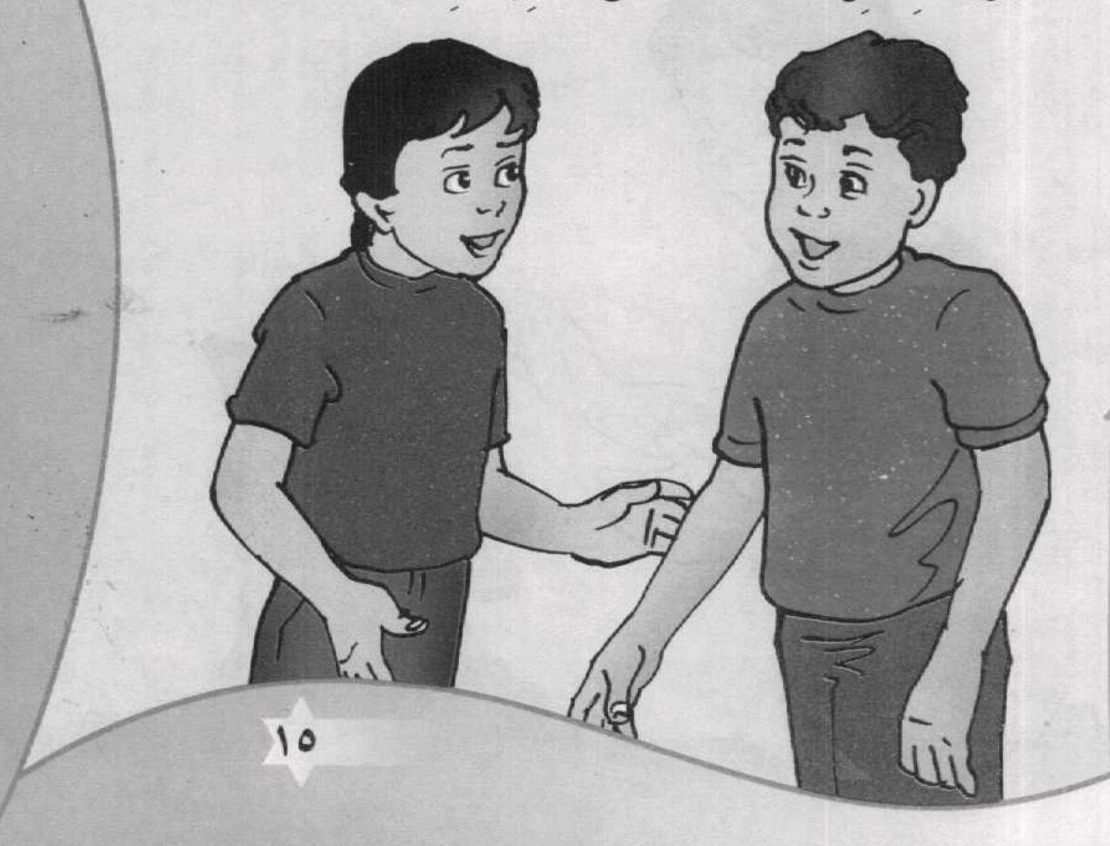
قال الكلب: لقد أماته الله أيضا يا أسامة..

قال أحمد: أظن أن العبرة الحقيقية من وراء هذه المعجزة الباهرة هى دلالة القصة على البعث بمثل واقعى محسوس.. يقرب إلى الناس قضية البعث.. فيعلموا أن وعد الله بالبعث حق.. وأن الساعة لا شك فى وقوعها..

قال أسامة: وهناك حكمة أخرى مهمة يا أحمد.. وهى أن الله سبحانه يحفظ أولياءه كيفما شاء وبما شاء.. ويفيض عليهم رحمته وكرمه.. ويدبر لهم أمرهم..

قال أحمد: صدقت يا أسامة.. ولقد كان أصحاب الكهف مدركين لهذا الأمر جيدا منذ أول لحظة عندما سألوا الله سبحانه قائلين:

﴿ رَبَّنَا ءاتِنَا مِن لَّدُنْكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَداً ﴾ «الكهف ١٠»



قال أسامة: ولكن هل أدرك أهل المدينة هذه العبر النافعة من وراء هذه القصة..

قال الكلب: لا شك فى ذلك يا أسامة.. ولقد أراد أهل المدينة أن يصنعوا شيئًا يخلدون به أصحاب هذه القصة ويحفظون ذكراهم للأجيال.. فاقترح بعضهم إقامة بنيان كبير عليهم.. واقترح آخرون بناء مسجد.. واستقر الأمر على هذا الرأى الأخير لأنه كان رأى أصحاب السلطة.

قال أحمد: أشكرك جدا يا كلبى العزيز على هذه القصة الممتعة والمفيدة..

قال الكلب: لقد ذكرتها لك يا أحمد أنت وصديقك أسامة شكرًا وتقديرًا على الأكلة الجميلة التى أتيت بها معك.. فقد كنت أشعر بجوع شديد كالجوع الذى شعر به جدى الأكبر كلب أصحاب الكهف عندما استيقظ

من نومه بعد أكثر من ثلاثمائة سنة..

